

بحوث الإعجاز العلمي بين الانضباط والتسيب: مباحثة مقاصدية نقدية

Researches of Scientific Miracles between Discipline and Negligence: A Critical Objective Discussion

أ.د. يوسف نواصة

أستاذ التعليم العالي. المدرسة العليا للأساتذة. بوزريعة - الجزائر

youcefnouassa@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2022/01/31

تاريخ القبول: 2021/01/17

تاريخ الإرسال: 2020/11/09

الملخص:

تبوأت مباحث الإعجاز العلمي في القرآن الكريم مكانة بارزة في سلم اهتمامات الفكر الإسلامي المعاصر، وتجلى ذلك في وفرة الإنتاج فيه، والاهتمام الأكاديمي المتزايد به. ومثل أي ظاهرة علمية يصحب هذا التطور والنمو نتوءات تشوش صفاءه؛ وثغرات تشوب بهاءه؛ وهذا ما يستدعي الدراسات النقدية للإسهام في التقويم والترشيد، كما يستدعي البعد لمقاصدي ليكون إطارا مفاهيميا للتحاكم إليه، وهذا البحث هو محاولة لمراجعة بعض القضايا المتعلقة بالإعجاز العلمي في القرآن العظيم نقدا وتقويما في ضوء المقاصد والضوابط.

الكلمات المفتاحية: الإعجاز العلمي، الانضباط، التسيب، المقاصد، النقد.

Abstract:

The topics of scientific miracles in the Noble Qur'an have assumed a prominent position in the ladder of interests of contemporary Islamic thought, and this was evident in the abundance of production in it and the increasing academic interest in. And like any scientific phenomenon, this development is accompanied by protrusions that distort its clarity. And loopholes marred its splendor; This is what calls for critical studies to contribute to the evaluation and rationalization, It also calls for the intended dimension to be a conceptual framework for judging, and this research is an attempt to review some issues related to the scientific miracles in the Great Qur'an for criticism and evaluation in light of the objectives and controls.

Keywords:

scientific Miracles, discipline, negligence, intentions, criticism.

1 . مقدمة:

{الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً}، و{تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً}، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، أرسل {رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيمًا}، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، ومنته على المؤمنين، ورحمته للعالمين، وحبته على الناس أجمعين، اصطفاه واجتباها تفضيلاً وتكريماً، {.. وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً}، صلى الله عليه وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار وتبعه الأبرار، وسلم تسليمًا جسيماً. وبعد:

فلقد ارتبط التحدي بالقرآن العظيم منذ نزوله أول مرة، وكما تنزل القرآن نجوماً إلى أن تمام نزوله كاملاً، تنزل التحدي به من: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [القصص: 49]، إلى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [١٣] فَإِلَّا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ [١٤] [هود: 13-14]، إلى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢٧] أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُوْرٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [٢٨] [يونس: 37-38]، ﴿وَأَن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [٢٩] فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [٣٠] [البقرة: 23-24]؛ ليبقى الإعجاز القاهر ظاهراً إلى أن يرث الله البسيطة ومن عليها، يرى عياناً ويُنْتَلَى قرآناً:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ

بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: 88]. وسلّم بذلك حتى أعدى أعداء القرآن وأشدّهم تكذيباً له، الذين ذلّت لهم فنون القول، وألّين لهم الكلام، ومهّدت لهم سبله ومذاهبه، فكانت البلاغة صنعتهم والفصاحة سمتهم. ولم يتجرأ أحدٌ منهم أن يدّعي - مجرد الادعاء - قدرته على معارضة القرآن أو حتى مقاربة مستوى بلاغته، إلّا من أراد أن يجعل من نفسه أضحوكة مدى الزّمان كمسيلة الكذاب.

إلّا أنّ عامة الكفر كما هو معلوم إنّما هو معاندة ومجادة ومناكرة ومكابرة؛ ولذلك استمسك كثيرون بكفرهم رغم إقرارهم بعجزهم أمام تحدّي القرآن العظيم، بل إقرار كثير منهم باستحالة أن يكون كلاماً بشرياً، وشهادة الوليد بن المغيرة مشهورة مذكورة. وهذا ما أنهض العلماء لبسط القول في بيان وجوه الإعجاز القرآني؛ بياناً وتوضيحاً للجاهلين، وتنبهّاً وتذكيراً للغافلين، ودفعاً وقمعاً للمكذّبين والمتشكّكين. وتمحورت جهودهم حول بلاغة القرآن نظماً ومعنى، وصدق إخباره عن الغيب ماضياً ومستقبلاً. حتى جاء الزّمن المعاصر فانبثق عددٌ من البحوث حول بيان الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ثم انهمر بسيل جارف حمل الخير الكثير كما حمل معه الغناء الخطير، مما يتطلّب مراجعة مستمرة لواقع البحوث والدراسات في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ونقد ما ينتج في هذا السّبيل تقويماً وتوجيهاً، ذوداً عن حياض القرآن أن تشوبها شائبة بحسن النّية تُضاف إلى ما يُثار حوله من شبهات تتبع عن نيات فاسدة وأغراض حاكمة.

لذا اخترت أن تكون الإشكاليّة التي تعالجها هذه الورقة تتلخص في عنوانها: بحوث الإعجاز العلمي بين الانضباط والتّسيب: مباحثة مقاصدية نقدية. والذي يثير جملة تساؤلات منها: هل المسارات التي سلكتها بحوث الإعجاز العلمي في مجملها تتغيّ تحقيق مقاصد القرآن الكريم أم هي غافلة عن هذا المعنى؟، وهل بحوث الإعجاز العلمي في مجملها تتضبط بالضوابط التي اتفق عليها الدّارسون في هذا الميدان أم أنّ ثمت تسيباً بنسب متفاوتة في هذا الشأن؟. وهل هناك آثارٌ جانبية لبحوث الإعجاز العلمي يجب الانتباه لها ومعالجتها؟.

وقد استندت في تحرير هذا البحث على المنهج التحليلي بخطواته الجزئية: التفسير، النقد والتقويم، الاستنباط والتركيب. وانتظمت حلقاته في مقدمة، تتبعها مطالب ثلاثة، تعقبها خاتمة، على النحو الآتي:

المطلب الأول: المرجعية العليا لمقاصد القرآن العظيم.

المطلب الثاني: بحوث الإعجاز العلمي بين الرّفْض والقبول.

المطلب الثالث: مراجعات وتنقيدات لبحوث الإعجاز العلمي.

خاتمة: مختصرة تتضمن توصية تعالج إشكالية البحث المدروسة.

2 . المطلب الأول: المرجعية العليا لمقاصد القرآن العظيم.

أنزل القرآن العظيم لتحقيق مقاصد عظيمة، ومعرفة هذه المقاصد يُسهم في حسن فهم مراد الله تعالى من كلامه بقدر الطاقة البشرية، كما يُسهم في تصويب تنزيل أحكام القرآن واقعيًا وضبط أفعال المكلفين بها. وقد بذلت جهود كبيرة في استجلاء هذه المقاصد وتحديدتها من المفسرين ابتداءً ومن كلّ علماء الإسلام عامة، وتوّج ذلك بالدراسات المتخصصة في التفسير المقاصدي حديثًا. بيد أنّ تاريخ التعامل مع القرآن العظيم تفسيراً وتفهمًا، وتنزيلاً وتطبيقاً سجّل انحرافاً عن هدي هذه المقاصد وغفلة عنها، ومصادمة لها في بعض الأحيان!. وهذا الإغفال لمقاصد القرآن هو الذي أوقع بعض المفسرين في مزالق تتفاوت خطراً ونتائج، مثل: سوء التأويل، ووضع النص في غير موضعه، واتباع المتشابهات وترك المحكمات، والاعتماد على الروايات الواهية والموضوعة والإسرائيليات، والشروء عن إجماع الأمة، والإيغال في دعوى النسخ بلا برهان، وحشد التفسير بما ينافيه ويزاحمه من المواضيع..⁽¹⁾.

ولتلافي هذه النقائص وتفادي هذه المزالق لا بدّ لكلّ من ينتصب للتعامل مع القرآن الكريم فهماً وتفسيراً وتأويلاً وتنزيلاً أن يستحضر مقاصده الكلية العامة ومقاصده الجزئية الخاصة حتى تكون حامياً لعمله عن شطط الفهم، ودافعاً لسوء التأويل وخط الاستنباط عنه، "قالفهم المقاصدي للقرآن الكريم أو لسوره أو موضوعاته لا غنى لأيّ نوع من أنواع التفسير عنه، ولا ينفكّ عنه المفسر أبداً في أيّ منهج يتبعه للتعامل مع القرآن الكريم، وهذا يشير إلى

محورية المقاصد وضرورتها وأوليتها لدى المفسر حين ينظر في القرآن العظيم بمناهج تفسيره جميعاً⁽²⁾.

وهذه المحورية وهذه الضرورة وهذه الأولوية تزداد وضوحاً بهذه النقاط الآتية:

- استحضار مقاصد القرآن العظيم هو المدخل السليم إلى فهم الرسالة القرآنية الإسلامية على وجهها الصحيح.

- استحضار مقاصد القرآن العظيم تمكن قارئه ومُتدبره من الفهم السليم للمعاني التفصيلية، والمقاصد الخاصة لأمثاله وقصصه ووعدته ووعدته، ولكل آية، وكل لفظ، وكل حكم ورد فيه.

- استحضار مقاصد القرآن العظيم تسديّد لفهمنا لمقاصد السنة النبوية جملة وتفصيلاً، ومن خلال ذلك يتسدد النظر الفقهي والاجتهاد.

- استحضار مقاصد القرآن العظيم يمثل الميزان والمعيار الذي يجب أن نزن به أعمالنا الفردية والجماعية، وحياتنا الخاصة والعامة.

- استحضار مقاصد القرآن العظيم يمثل "الميزان والمعيار الذي لا بدّ للمفسرين في مناهجهم وتفسيراتهم، فبمعرفة ومراعاتها يضمن المفسر لنفسه ولتفسيره أن تكون اهتماماته ومقاصده واستنباطاته في نطاق مقاصد القرآن بلا زيادة ولا نقصان... وهذه هي الفائدة العلمية الأهم والأوسع أثراً، وهي التي تعصم المفسرين من الانجرار وراء أمور لا مكان لها في مقاصد الكتاب العزيز"⁽³⁾. وعلى هذا فمقاصد القرآن الكريم هو الميزان والمعيار الأول الذي تضبط به بحوث الإعجاز العلمي وتتحاكم إليه.

ورغم هذه الأهمية الكبيرة لمقاصد القرآن العظيم إلّا أنّنا لا نجد اهتماماً مباشراً بها وكلاماً صريحاً حولها عند عامة المتقدمين، ولم يتوسّع في بسط الكلام المباشر عليها إلّا المتأخرون بدءاً بالإمام الأستاذ محمد عبده رحمه الله؛ لذا سأكتفي بعرض موجز لبعض الاجتهادات التي حاولت تحديد مقاصد القرآن العظيم، لتكون نبراساً في هذه الدراسة الموجزة.

2. أ/ تحديد الإمام العزّ بن عبد السلام رحمه الله لمقاصد القرآن:

كما ذكرت قريبا لم نجد من أكثر المتقدمين التفاتاً إلى بيان مقاصد القرآن تصريحاً⁽⁴⁾، إلا أن الإمام العزّ بن عبد السلام (ت: 660هـ) يبقى فتّاح أبواب، سبقا إلى طرّق الجديد، فقد أجمل مقاصد القرآن تصريحاً في تحديد أشبه بالتّقييد، فقال: "ومعظم مقاصد القرآن: الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزّجر عن اكتساب المفساد وأسبابها"⁽⁵⁾. وهذه لفظة رائعة منه سبق بها إلى التصريح بمصطلح مقاصد القرآن.

2. ب/ تحديد الإمام ابن جزّي الغرناطيّ رحمه الله لمقاصد القرآن:

ومثله الإمام ابن جزّي الغرناطيّ المالكيّ (ت: 741هـ) رحمه الله أوجز الكلام على مقاصد القرآن في مفتتح تفسيره، فقال: "المعاني والعلوم التي تضمّنها القرآن. ولنتكلم في ذلك على الجملة والتفصيل.

أمّا الجملة، فاعلم أنّ المقصود بالقرآن دعوة الخلق إلى عبادة الله وإلى الدخول في دينه، ثم إنّ هذا المقصد يقتضي أمرين، لا بدّ منها، وإليهما ترجع معاني القرآن كلّها: أحدهما: بيان العبادة التي دعي الخلق إليها، والأخرى ذكر بواعث تبعثهم على الدخول فيها وتردّدهم إليها، فأما العبادة فتتقسم إلى نوعين، وهما أصول العقائد وأحكام الأعمال، وأما البواعث عليها فأمران وهما: الترغيب والترهيب.

وأما على التفصيل، فاعلم أنّ معاني القرآن سبعة: هي علم الرّبوبية، والنبوة، والمعاد، والأحكام، والوعد، والوعيد والقصص"⁽⁶⁾. ولا يخفى أنّ الإمام الكبير حين جاء يفصّل المقاصد لم يحرر القول، فلم يفرّق بين موضوعات القرآن ومقاصده.

2. ج-/ تحديد الإمام الأستاذ محمد عبده رحمه الله لمقاصد القرآن:

ثمّ بعدهما بقرون متطاولة جاء الإمام الأستاذ محمد عبده (ت: 1354هـ) رحمه الله فتوسّع في استقصائها، وبقرّ القول في بيانها بما لم يسبق لمثله. وقد حددها إجمالاً في قوله: "مقاصد القرآن .. إصلاح أفراد البشر وجماعاتهم وأقوامهم، وإدخالهم في طور الرّشد، وتحقيق أخوتهم الإنسانية ووحدهم، وترقية عقولهم، وتركيز أنفسهم"⁽⁷⁾.

وفصلها في قوله: "نذكر هنا أصول هذه المقاصد ..:

[المقصد] الأول من مقاصده: الإصلاح الديني لأركان الدين الثلاثة .. الركن الأول للدين: الإيمان بالله تعالى .. الركن الثاني من أركان الدين: عقيدة البعث والجزاء .. الركن الثالث للدين: العمل الصالح.

المقصد الثاني من مقاصد القرآن: بيان ما جهل البشر من أمر النبوة والرسالة ووظائف الرسل..

المقصد الثالث من مقاصد القرآن: بيان أن الإسلام دين الفطرة السليمة، والعقل والفكر، والعلم والحكمة، والبرهان والحجة، والضّيمير والوجدان، والحرية والاستقلال ..

المقصد الرابع من مقاصد القرآن: الإصلاح الاجتماعي الإنساني والسياسي..

المقصد الخامس من مقاصد القرآن: تقرير مزايا الإسلام العامة في التكاليف الشخصية من العبادات والمحظورات...

المقصد السادس من مقاصد القرآن: بيان حكم الإسلام السياسي الدولي..

المقصد السابع من فقه القرآن: الإرشاد إلى الإصلاح المالي..

المقصد الثامن من فقه القرآن: إصلاح نظام الحرب ودفع مفسادها وقصرها على ما فيه الخير للبشر.

المقصد التاسع من فقه القرآن: إعطاء النساء جميع الحقوق الإنسانية والدينية والمدنية.

المقصد العاشر من فقه القرآن: تحرير الرقبة (الحرية)⁽⁸⁾.

2. د/ تحديد العلامة ابن عاشور رحمه الله لمقاصد القرآن:

وبعد الإمام الأستاذ انبرى العلامة الكبير ابن عاشور (ت: 1393هـ) رحمه الله لبيان مقاصد القرآن في تفسيره العُجاب. وقد حددها إجمالاً وتفصيلاً أيضاً، أمّا إجمالاً فقد تعرّض لها في مواطن من تفسيره، من أجزائها وأبلغها قوله: "القصْد من القرآن إبلاغ مقاصده الأصلية، وهي صلاح الدارين"⁽⁹⁾.

وأما تفصيلاً فقال في المقدمة الرابعة من مقدمات تفسيره: "المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبليغها .. بحسب ما بلغ إليه استقراؤنا وهي ثمانية أمور:

الأول: إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح، وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق ..
الثاني: تهذيب الأخلاق ..

الثالث: التشريع وهو الأحكام خاصة وعامة... ولقد جمع القرآن جميع الأحكام جمعا كلياً في الغالب، وجزئياً في المهم ..

الرابع: سياسة الأمة وهو باب عظيم في القرآن القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها ..
الخامس: القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم.. وللتحذير من مساوئهم.. وفي خلالها تعليم.

السادس: التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين، وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها ..
السابع: المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، وهذا يجمع جميع آيات الوعد والوعيد، وكذلك المحاجة والمجادلة للمعاندين، وهذا باب الترغيب والترهيب.

الثامن: الإعجاز بالقرآن؛ ليكون آية دالة على صدق الرسول، إذ التصديق يتوقف على دلالة المعجزة بعد التحدي، والقرآن جمع كونه معجزةً بلفظه ومتحدًى لأجله بمعناه ..⁽¹⁰⁾.

2. هـ/ تحديد العلامة يوسف القرضاوي:

ثم قدّم العلامة القرضاوي تصوّره لمقاصد القرآن في سياق تحديده لمعالم التعامل الصحيح مع القرآن فقال: "لقد دعا القرآن الكريم لكثير من المبادئ والمقاصد التي لا تصلح الإنسانية بغيرها. ونجتزئ هنا بسبعة منها ممّا أكّده القرآن وكرّره، وعني به أشدّ العناية، وهي:

1 - تصحيح العقائد والتصورات للألوهية والرسالة والجزاء.

2 - تقرير كرامة الإنسان وحقوقه، وخاصة الضعفاء من الناس.

3 - توجيه البشر إلى حسن عبادة الله تعالى وتقواه.

4 - الدّعوة إلى تركية النفس البشريّة.

5 - تكوين الأسرة الصّالحة، وإنصاف المرأة.

6 - بناء الأمة الشّهيدة على البشريّة.

7 - الدّعوة إلى عالم إنسانيّ متعاون⁽¹¹⁾.

2. و/ تحديد الدكتور أحمد الريسوني لمقاصد القرآن:

وبعد رام الدكتور أحمد الريسوني أن يحصر مقاصد القرآن الكريم في نقاط معينة، فحددها في خمس مقاصد كلية، فقال: "... المقاصد العامة الجامعة، التي أنزل القرآن لأجل بيانها للناس، وتوجيههم إليها وحثهم على إقامتها ورعايتها، بحيث نجد العناية بها والقصد إلى تحقيقها في عامة سوره وأجزائه، سواء أكانت في عقائده أم في أحكامه وآدابه، أم في قصصه أم في أي صنف من آياته ...

- 1 - مقصد توحيد الله وعبادته...
- 2 - مقصد الهداية الدينية والدنيوية للعباد...
- 3 - مقصد التزكية والتعليم...
- 4 - مقصد الرحمة والسعادة...
- 5 - مقصد إقامة الحق والعدل...⁽¹²⁾.

هذه أهم اجتهادات العلماء في تقصيد مقاصد القرآن العظيم وتحديدها؛ لتكون منارات تهدي المفسرين الصراط المستقيم في فهم كلام رب العالمين، واستنباط مختلف الأحكام والفوائد من منطوقه ومفهومه. حتى لا يناقضوا مقاصده دون قصد، ولا يتكبروا سبيل هدايته من غير أن يشعروا. والذي يجمع شتات هذه المعاني الكبيرة العظيمة التي ذكرها هؤلاء العلماء هو أن القرآن الكريم: كتاب هداية ابتداءً وانتهاءً⁽¹³⁾، كما قررته الآية الكريمة باللفظ الصريح المبين: **قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾** [الإسراء: 9].

فهذا المقصد مهيم على كل ما ذكر من مقاصد للقرآن الكريم مما يوجب إيجاباً حتماً على كل متعامل مع القرآن تلاوة وفهما واستنباطاً وعملاً أن يستحضره ويضبط تعامله به. وإذا تقرر هذا، فالسؤال الذي يرد هو ما محلّ بحوث الإعجاز العلمي من هذا كله، أي من مقاصد القرآن الكريم كما جلاها وحددها العلماء الأعلام؟. وأول ما نلاحظ أنه لم يذكر كون الإعجاز -عامة وليس العلمي منه فقط- من مقاصد القرآن إلا العلامة الطاهر بن عاشور رحمه الله، فقال في ذلك: "الثامن: الإعجاز بالقرآن؛ ليكون آية دالة على صدق الرسول، إذ التصديق يتوقف على دلالة المعجزة بعد التحدّي، والقرآن جمع كونه معجزةً بلفظه ومتحدّي لأجله بمعناه". ثم استرسل بالقول إمعاناً في التأكيد على ضرورة ضبط عمل المفسر بالمقاصد: "فغرض المفسر بيان ما يصل إليه أو ما يقصده من مراد الله تعالى في كتابه بأنم بيان يحتمله المعنى، ولا يأباه اللفظ من كل ما يوضح المراد من مقاصد القرآن، أو ما يتوقف عليه فهمه أكمل فهم، أو يخدم المقصد تفصيلاً وتفرّيعاً .. مع إقامة الحجة على ذلك إن كان به خفاء، أو لتوقع مكابرة من معاند أو جاهل، فلا جرم كان رائد المفسر في ذلك أن يعرف على الإجمال مقاصد القرآن مما جاء لأجله، ويعرف اصطلاحه في إطلاق الألفاظ"⁽¹⁴⁾.

ويستشف من كلام الإمام أنّ مقصد الإعجاز هو وسيلة من وجه آخر لمقصد أعلى هو الدلالة على صدق الرسول وإثبات الرّسالة. ولا يستتكر كون معنى ما هو مقصد باعتبار وسيلة باعتبار، فالإعجاز هو مقصد باعتبار كون ثبوته ضرورياً لإثبات صدق الرسول، ولكن بحوث الإعجاز هي وسيلة باعتبار كونها الطريق لبيان وتقرير الإعجاز القرآني. وهذا يوجب على الباحثين في الإعجاز عامة والإعجاز العلمي خاصة -وهو موضوع هذه الدراسة- أن يضبطوا مسارهم البحثي بمقاصد القرآن العظيم عامة مما سبق ذكره، وعلى رأسها المقصد المهيم عليها الشامل لكل معانيها، القاضي بأن القرآن الكريم هو كتاب هداية أساساً، وأن ما ذكر فيه من العلوم استطراداً إنّما ورد خدمة لهذا المقصد الأعلى. حتى لا تتحوّل هذه البحوث إلى ملهاة عن الهداية، أو مدعاة لجرّ القرآن الكريم إلى تنافس مع سير الاكتشافات العلمية، أو مراقبة لتحميل القرآن الكريم ما لا تحتمله ألفاظه ومقاصده. كما هو حاصل في بعض ما أنتج من بحوث الإعجاز العلمي، وما نتج عنها من تصوّرات خاطئة.

3. المطلب الثاني: بحوث الإعجاز العلمي بين الرّفْض والقَبول.

قبل بسط القول في اختلاف مواقف العلماء المعاصرين خاصة من بحوث الإعجاز العلميّ رفضا وقبولا، أعرج على مسألة بيان وجه إعجاز القرآن العظيم، وهي كذلك مسألة اختلفت فيها أنظار العلماء وتعدّدت اجتهاداتهم، وهي مهمة أيضا لتبيّن موقع بحوث الإعجاز العلميّ من قضية إعجاز القرآن الكريم.

3. أ/ بيان وجوه الإعجاز القرآن في العظيم.

لا يسمح المقام بتتبع آراء كلّ العلماء الذين قدّموا اجتهادات في هذا السبيل، وهم كثر، وآراؤهم تتقارب وتتباعّد. لكن إجمالاً نجدهم اتفقوا على وجهين من أوجه الإعجاز، وهما: الأول: نظمه وبلاغته وفصاحته، والثاني: إخباره بالأمور الغيبية. وإن توسّعت عباراتهم في التعبير عنهما، وتكثّرت أنواعه بذلك، لكنّها عند التحقيق راجعة إلى هذين الأمرين.

وفي هذا يقول القاضي عياض (ت: 544هـ) رحمه الله: "اعلم -وفقنا الله وإياك- أنّ كتاب الله العزيز مُنطَوٍ على وجوه من الإعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه: أولها حسن تأليفه والتّئام كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته .. الوجه الثاني من إعجازه: صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع آيه وانتهت فواصل كلمات إليه، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له، ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم وتدلّّته دونه أحلامهم .. الوجه الثالث من الإعجاز: ما انطوى عليه من الأخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد على الوجه الذي أخبر .. الوجه الرابع: ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأُمم البائدة والشرائع الدائرة .. هذه الوجوه الأربعة من إعجازه بيّنة، لا نزاع فيها ولا مرية"⁽¹⁵⁾. وهذه الوجوه الأربعة ترجع كما لا يخفى إلى الوجهين المذكورين، فالوجهان الأولان من تقسيمات القاضي ترجع إلى نظمه وبلاغته وفصاحته، والوجهان الأخيران منها ترجع إلى إخباره بالأمور الغيبية ماضيًا ومستقبلًا.

ويقول الإمام الآلوسي (ت: 1270هـ) رحمه الله أيضا: "وقد أطل العلماء الكلام على وجه إعجاز القرآن وأتوا بوجوه شتى، الكثير منها خواصه وفضائله، مثل: الروعة التي تلحق قلوب سامعيه. وأنه لا يملّه تاليه بل يزداد حباً له بالتّرديد، مع أنّ الكلام يُعادى إذا أعيد. وكونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفّل الله تعالى بحفظه. والذي يخطر بقلب هذا الفقير: أنّ القرآن بجملته وأبعاضه حتى أقصر سورة منه معجز بالنّظر إلى نظمه وبلاغته، وإخباره عن الغيب، وموافقته لقضية العقل ودقيق المعنى. وقد يظهر كلّها في آية، وقد يستتر البعض كالإخبار عن الغيب، ولا ضير ولا عيب، فما يبقى كافٍ، وفي الغرض واف" (16).

وبحوث الإعجاز العلميّ بأنواعه المتعددة ترجع إلى هذين الوجهين في تقديري، أمّا رجوعها إلى إعجاز نظمه وبلاغته، فوجهه هو دقّة التعبير القرآني المتناهية، التي تعبّر عن حقائق كونية وعلمية كبرى في ثنايا بيان العقائد والاستدلال عليها، بإشارات بيانية غاية في الإيجاز والإعجاز (17)، وهذا ما يستدعي الكلام على ضرورة معرفة العربية وعلومها لمن يخوض في بحوث الإعجاز العلمي كما سيأتي. وأمّا رجوعها إلى الإخبار بالأمور الغيبية، فوجهه أنّ الحقائق العلمية التي يخبر عنها القرآن تصرّحا أو إشارة تعدّ غيبا لمن لا يعلم حقيقتها حتى تكشف وتبيّن، فإخبار القرآن العظيم عن الغيب يتنوّع إلى إخبار عن حقائق تاريخية ماضيا ومستقبلا، وإخبار عن حقائق كونية ظاهرة وباطنة.

3. ب/ موقف العلماء من الإعجاز العلمي في القرآن العظيم.

إذا كانت بحوث الإعجاز البلاغيّ البيانيّ لقيت قبولا إجماعا، فإنّ بحوث الإعجاز العلميّ أثارت اختلافا بين العلماء رفضا وقبولا، عند المتقدمين والمتأخرين.

فقد أثار حجة الإسلام الغزاليّ رحمه الله مسألة علاقة القرآن بالعلوم في كتبه، فقال: "وقد قال بعض العلماء: لكلّ آية ستون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر. وقال آخرون: القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم .. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبّر القرآن. وذلك لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر. وبالجملّة، فالعلوم كلّها داخلة في أفعال الله عزّ وجلّ وصفاته. وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته. وهذه العلوم لا نهاية لها، وفي القرآن إشارة إلى مجامعها .. بل كلّ ما أشكل فيه على النّظار،

واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات ففي القرآن إليه رموز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها⁽¹⁸⁾، وقال أيضاً في كلمة جامعة: "وفي القرآن مجامع علم الأولين والآخرين"⁽¹⁹⁾. وقال تلميذه القاضي ابن العربي المالكي (ت: 543هـ) رحمه الله: "وقد تحقق كل عالم أن كتاب الله وسنة نبيه بيان لكل معلوم"⁽²⁰⁾. وهذا الرأي هو البساط الذي مهد الطريق لبحوث الإعجاز العلمي، وإن كان هؤلاء لم يتكلموا صراحة على الإعجاز العلمي بالمعنى الدارج حديثاً، وإنما قرروا ما قرروا في سياق تقريرهم اشتغال القرآن الكريم على أصول العلوم كلها أو علوم الأولين والآخرين بتعبيرهم.

ومع هذا لم يسلم لهم كل العلماء بذلك، بل ثمت من انتقد هذا المسلك من حشر العلوم كلها في تفسير القرآن وبيان معانيه، وتحميل آياته ما لا تحتل، ونجمهم العلم في ذلك هو الإمام الشاطبي (ت: 790 هـ) رحمه الله حيث يقول: "أن كثيراً من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين، من علوم الطبيعيات، والتعاليم، والمنطق، وعلم الحروف، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها .. وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير شيء مما زعموا .. فليس بجائز أن يضاف إلى القرآن ما لا يقتضيه، كما أنه لا يصح أن ينكر منه ما يقتضيه"⁽²¹⁾. ويظهر من كلام الإمام رفضه للتفسير العلمي أو الإعجاز العلمي كلية، وهو (تجاوز في دعوى الإنكار في هذه القضية الحد)، وهذا ما فهمه العلامة عبد الله دراز (ت: 1932م) رحمه الله من كلام الشاطبي فتعقبه بقوله: "كونه لم يقصد فيه تقرير شيء من هذه العلوم الكونية ظاهر؛ لأنه ليس بصدد ذلك، أمّا كونه لا يجيء في طريق دلائله على التوحيد ما ينبني عليه التوسع في إدراكها وإتقان معرفتها إذا لم يكن معروفاً عند العرب، فهو محل نظر"⁽²²⁾. ويظهر لي أن الإمام الشاطبي لا ينكر التفسير أو الإعجاز العلمي مطلقاً، وإنما ينكر الإيغال والمبالغة فيه، وهذا ما يستشف من قوله: "تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد"، وإنكار المبالغة وتجاوز الحد في أي شأن من الشؤون مما اتفق عليه أهل العقول.

وإذا كان العصر الحديث بما عرفه من تطور كبير في مختلف العلوم ومناهجها شجع الكثيرين على المشاركة في بحوث الإعجاز العلمي، مما نتج عنه كم هائل منها، وتوسع البحث فيها توسعا كبيرا، وفتحت العديد من كليات الشريعة تخصصات لدراسة الإعجاز العلمي والتفسير العلمي للقرآن الكريم، فإن هذا الوضع لم يغلق باب الرّفص والمعارضة لهذه البحوث كَلِيّة. بل وجدنا من كبار علماء العصر الحديث من عارض هذه البحوث معارضة مطلقة أو جزئية، وعلى رأسهم مجموعة من كبار علماء الأزهر الشريف، يتقدمهم الإمام الأكبر محمود شلتوت (ت: 1383هـ، 1963م)، ومنهم: الشيخ أمين الخولي (ت: 1385هـ، 1966م)، وشيخ الأزهر مصطفى المراغي (ت: 1364هـ، 1945م)، رحمهم الله تعالى⁽²³⁾. ومعهم المفسر الكبير سيد قطب (ت: 1385هـ، 1966م) رحمه الله فقد اتخذ موقفا معارضا لمسار بحوث الإعجاز العلمي. ولكل هؤلاء ومن قال بقولهم ورأى رأيهم أدلتهم التي بنوا عليها موقفهم، مما يضيق المقام عن الإحاطة بها، ولكن ألخص أهم المقولات التي استند عليها هؤلاء في النقاط الآتية:

- الله تعالى لم ينزل القرآن العظيم ليكون كتاب نظريات علمية، يعلم الناس دقائق الفنون ومختلف المعارف.

- هذه البحوث قد تحمل الخائضين فيها على التكلف في تأويل القرآن وتفسيره، بما لا ينضبط بقواعد، ولا يستسيغه الذوق السليم، ويتنافى مع الإعجاز الباهر.

- هذه البحوث قد تجعل معاني القرآن تدور مع العلوم وتطورها بحسب الزّمان والمكان. والعلم كما هو معلوم استكشافي تراكمي؛ ولذلك تبطل البحوث الجديدة منه ما أثبتته البحوث السابقة، واستقرّ لقرون أو عقود على أنه حقيقة علمية⁽²⁴⁾.

3. جـ/ ملاحظة عامة على ضوابط البحث في الإعجاز العلمي.

هذه المقولات السابقة إن لم ترق إلى سدّ الباب كلية أمام بحوث الإعجاز والتفسير العلمي، فهي توجب الحذر على الباحثين في الإعجاز لئلا يقعوا في هذه المحذورات المنوّه بها. وهو ما حذا بالعلماء لوضع ضوابط وشروط لبحوث الإعجاز تسدّ مسارها وتسور مسالكها وتهدّي طارقتها، أهمها:

1 - التّعويل على الحقائق لا الفرضيات.

2 - تجنّب التّكلف في فهم النصّ.

3 - تجنّب اتهام الأمة كلّها بجهل معنى الآية أو الآيات.

4 - عدم مخالفة التفسير النبوي المأثور الصحيح.

5 - موافقة اللغة العربية موافقة تامة من غير تكلف.

6 - عدم التعرّض للمعجزات؛ لأنّها خارجة عن معتاد البشر وقدرتهم⁽²⁵⁾.

وهذه الضوابط على أهميتها ودقتها، فهي قاصرة -في نظري القاصر- عن الذود عن حياض القرآن العظيم، ذلك أنّها اهتمت بضبط عملية التفسير (البحث في الإعجاز العلمي)، ولكنها أغفلت الضوابط المتعلقة بالمفسر (الباحث في الإعجاز العلمي). والعامل الإنساني - كما هو معلوم- هو العامل الأخطر في أيّ شأن من الشؤون، وكذلك هنا، فأغلب الانحرافات العلمية هي نتاج جرأة من ليس بأهل للكلام والبحث في قضايا العلم ومسائله. فـ"لا آفة على العلوم وأهلها أضرّ من الدّخلاء فيها وهم من غير أهلها، فإنّهم يجهلون ويظنون أنّهم يعلمون، ويفسدون ويقدرّون أنّهم يصلحون"⁽²⁶⁾. وعلى هذه القضية ستنبص معظم الملاحظات والمراجعات في المطلب الموالي.

4. المطلب الثالث: مراجعات وتنقيحات لبحوث الإعجاز العلمي.

كما هو شأن كلّ علوم الدّين من جرأة الناس على الخوض فيها: إفتاء، أو شرح حديث، أو تفسير آية، أو فقه سيرة أو تقرير عقيدة أو غير ذلك ممّا هو معروف مشهور، وجدت جرأة عند كثيرين على الخوض في الإعجاز العلمي لمجرد كونهم مختصين ببعض العلوم، أو مهتمين بالإعجاز العلمي، معجبين بمباحثه. وهذا أمر منكر خطير، لا يجوز السكوت عليه ولا الإغضاء عنه، فقد قال الصّدّيق أبو بكر رضي الله عنه قوله خالدة، شاهدة على كلّ من تسوّّل له نفسه الجرأة على كتاب الله تعالى: "أيّ سماء تُظلّني، وأيّ أرض تُقلّني، إذا قلت في القرآن برأيي أو بما لا أعلم؟!"⁽²⁷⁾. وللأسف لم تتجّ ساحة الإعجاز العلمي من هجوم ذوي الجرأة ممّا يوجب المراجعة والملاحظة والنقد حفظا لكرامة القرآن الكريم ورعيّا لحرمة.

4. /أهلية الباحث في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم هو نوع من التفسير، وهذا ما قرره الأستاذان المصلح والصاوي والباحثون المشاركون معهم في تأليف كتاب ((الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: منهج التدريس الجامعي))، الذي اعتمدته الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، إذ يقولان: "إنّ التفسير العلمي أعمّ من الإعجاز العلمي؛ إذ إنّ كلّ إعجاز علمي هو من قبيل التفسير العلمي لا العكس"⁽²⁸⁾. ولكنّ الهيئة بعد ذلك تتساهل تساهلا غريبا، وتسمح لكلّ من وضع بحثا في عنوانه "إعجاز" بالمشاركة في نشاطاتها، وتنتشر لهؤلاء في منشوراتها!.

إنّ مادام البحث في الإعجاز العلمي من قبيل التفسير، فيشترط إذاً في الباحث في إعجاز القرآن ما يشترط في المفسّر من شروط، ولا يجوز لمن لم يتحقّق بها أن يتكلّم في تفسير كلام الله تعالى.

ولا يقولنّ قائل: إنّهُ لا يفسّر، ولكن يرجع إلى كتب التفسير وينظر أو يختار مما قاله المفسرون!. فهذه مصيبة أعظم!. إذ لو فتحنا هذا الباب -وهو مفتوح للأسف الشديد بالجرأة..- لَمَا بقي للعلم معنى، ولا للقرآن حرمة!. إذ أنّ هذا أمرٌ لا يعجز عنه أحدٌ، والوصول إلى الكتب سهل ميسور. وبهذا المنطق نجيز لكلّ من يحسن القراءة أن يفتي بأن يرجع إلى كتب الفقه والفتوى وينظر ما قاله الفقهاء ويختار منها!. ولا يبقى فرق بين عالم وجاهل، ومختص وغير مختص!.

ولست بحاجة إلى بسط القول في شروط المفسّر فهي معروفة قريبة المظان، واكتفي بالتعريض على العلوم التي يجب أن يحصلها من أراد الخوض في التفسير، قال الإمام السيوطي (ت: 911هـ) رحمه الله: "يجوز تفسيره لمن كان جامعا للعلوم التي يحتاج المفسر إليها، وهي خمسة عشر علما:

أحدها: اللغة؛ لأنّ بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع ..

الثاني: النحو؛ لأنّ المعنى يتغيّر ويختلف باختلاف الإعراب فلا بد من اعتباره ..

الثالث: التصريف؛ لأنّ به تعرف الأبنية والصيغ ..

الرابع: الاشتقاق؛ لأنّ الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما ..

الخامس والسادس والسابع: المعاني والبيان والبدیع؛ لأنه يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام، من جهة إفادتها المعنى. وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها. وبالثالث وجوه تحسين الكلام. وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة، وهي من أعظم أركان المفسر؛ لأنه لا بدّ له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز وإنما يدرك بهذه العلوم.

الثامن: علم القراءات؛ لأنّ به يعرف كيفية النطق بالقرآن، وبالقراءات يترجّح بعض الوجوه المحتملة على بعض.

التاسع: أصول الدين..

العاشر: أصول الفقه؛ إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط.

الحادي عشر: أسباب النزول والقصص إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه.

الثاني عشر: الناسخ والمنسوخ ليعلم المحكم من غيره.

الثالث عشر: الفقه.

الرابع عشر: الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم.

الخامس عشر: علم الموهبة، وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم⁽²⁹⁾. فكيف لمن لم يحصل هذه العلوم أو حصل علما منها تحصيلًا سطحيًا أن يجزم بأن معنى الآية كذا أو كذا!، وعلى هذا المعنى فهي تحوي إعجاز علمي، وهو على غير يقين في كلّ ذلك؟! وهو حال كثيرين ممن يشتغلون بالبحث في الإعجاز العلمي للقرآن كما هو معلوم غير مجهول!.

ولتلافي هذه السلّبية الخطيرة لا بدّ أن تتحوّل بحوث الإعجاز إلى بحوث جماعية، يشترك في إنجازها مفسرون أو مختصون في الدّراسات القرآنيّة والتّفسير مع مختصين في العلم الذي تنتمي إليه الإشارة العلمية الواردة في الآية أو الآيات المدروسة. ولا تقبل البحوث الفردية إلّا لمن جمع التّخصص في التّفسير والتّخصص في العلم الذي تنتمي لحقله الجزئية المبحوثة.

4. ب/ إشكالية اللغة العربية عند الباحثين في الإعجاز العلمي.

من المعلوم بداهة أنه يحرم الكلام في تفسير كتاب الله تعالى إلا للعارف بلسان العرب معرفة عالية، وليس المقصود معرفة النحو فقط كما قد يتبادر إلى الأذهان، أو معرفة قراءة الحرف العربي وفهم كلمه فهمًا عامًا، بل المقصود معرفة علوم اللغة على تنوعها معرفة متينة، وخاصة علوم ضبط الدلالة: النحو والصرف والمعاني والبيان والبدیع - وقد سبق عدّ العلوم التي ينبغي تحصيلها للمفسّر قريباً-. يقول الإمام الزمخشري (ت: 538هـ) رحمه الله: "إنّ أَملاً العلوم بما يغمر القرائح، وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح، من غرائب نكت يلطف مسلكها، ومستودعات أسرار يدقّ سلكها: علم التفسير، الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كلّ ذي علم .. فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن بزّ أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القرية أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه، لا يتصدّى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلّا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهّل في ارتيادهما آونة، وتعب في التّقيير عنهما أزمنة، وبعثته على تتبع مظانها همة في معرفة لطائف حجة الله، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله بعد أن يكون آخذاً من سائر العلوم بحظ، جامعاً بين أمرين تحقيق وحفظ"⁽³⁰⁾.

وربما لكون لغة العلم في العصر الحاضر هي الإنجليزية أساساً ثمّ اللّغات الأجنبية الأخرى من فرنسية وألمانية وروسية ويابانية وغيرها، كان على المشتغل بالعلوم الطّبيعيّة والتّكنولوجيّة أن يكون متمكناً من إحدى هذه اللّغات، متمرساً في استعمالها، ولكنّ علم هؤلاء بالعربية متفاوت، وقلّ ما نجد من يتقن العربية إلى الدرجة التي تؤهّله لتفسير كتاب الله تعالى، أو حتى لفهم توجيهات المفسرين لمعاني الآيات والاختيار بينها مع إتقانه للّغات الأجنبية. ومع ذلك وجدنا من يهجم على بحوث الإعجاز العلمي، آخذاً في تفسير الآيات وتأويلها بميزان معارفه العلمية، مسترسلاً في استنباط معانٍ دقيقة وادعاء مطابقتها

لاكتشافات علمية حديثة، وهو لا يملك أدوات فهم القرآن، بل أدوات استنباط معانيه الدقيقة والاجتهاد في فهمه!. فلا غرابة إذا وجدنا مهندسا ميكانيكيا أو مدنياً أو طبيباً أو صيدلاناً يُخطئ المفسرين جملة، ويدّعي أنه قد حازّ المفصل في فهم الآيات، وجاء بما لم يسبقه إليه أحد!.

إن شرط العلم بالعربية وعلومها والتّمكّن من ذلك لكلّ من يتعامل مع القرآن الكريم شرط لا يمكن التنازل عنه ولا التّساهل فيه، وإلاّ وقع تحريف كلام الله تعالى عن مواضعه، قال الإمام الزّمخشري رحمه الله عمّن يتعرّض للكلام في معاني القرآن مع جهله بعلم البيان وما يأتي به من بهتان: "وكم آية من آيات التّزليل وحديث من أحاديث الرّسول، قد ضيّم وسيّم الخسف بالتأويلات الغثّة والوجوه الرثّة؛ لأنّ من تأوّل ليس من هذا العلم [أي علم البيان] في غير ولا نفير، ولا يعرف قبيلاً منه من دبّير"⁽³¹⁾.

وقال الإمام السّكاكي (ت: 626هـ) رحمه الله ناعياً على من تجرّأ على الكلام على معاني كتاب الله تعالى مع جهله بعلمي البيان والبدیع: "وفيما ذكرنا ما ينبّه على أنّ الواقف على تمام مراد الحكيم تعالى وتقدّس من كلامه مفتقر إلى هذين العلمين كلّ الافتقار، فالويل كلّ الويل لمن تعاطى التفسير وهو فيهما راجل"⁽³²⁾.

ومن الانحرافات الخطيرة التي لا بست بحوث الإعجاز العلمي خوض من ضعفت لغته العربية واختلت، ولم يحصل شروط المفسر في هذه البحوث من مهندسين وأطباء وصيادلة.. إلخ، وما صاحب ذلك من جرأة على كتاب الله تعالى، وما نتج عن ذلك من بحوث ضعيفة، وليست قطعية في بابها. ويمكن تلافي هذه الواقعة مع عدم الحجر على من يرغب في المشاركة في بحث الإعجاز ممن هذه صفته بجعل هذه البحوث جماعية يشترك فيها مختصون في التفسير مع هؤلاء كما ذكرت سابقاً.

مثال: أحسن مثال لهؤلاء الجاهلين بالعربية المتخصصين في بعض العلوم الحديثة، ممن تجرأ على القرآن العظيم جرأة غريبة، المهندس المدعو علي منصور الكيالي، فهذا الرجل مع جهله الكبير بالعربية ولحنه الفاحش كما يلحظه لأول وهلة كل من يستمع إلى (فيديوهات)؛ لدرجة أنه لا يفرق بين الألف القمرية والشمسية في نطقه للألف واللام في بداية الكلمات. إضافة إلى عدم إتقانه لقراءة القرآن العظيم⁽³³⁾. ومع ذلك يأتي بدعاوى طويلة عريضة⁽³⁴⁾ يخدع بها السذج باسم العلم، وباسم الإعجاز العلمي، وباسم التّجديد في التفسير، وباسم القراءة المعاصرة للنص. وهذا الكيالي إن كان هو الأسوأ فليس وحيدا في هذه الباب، بل هناك غيره ممن يتكلمون ويبحثون في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ممن هم على شاكلته.

4. ج/ إشكالية التخصص لدى الباحثين في الإعجاز العلمي.

مع استحضار ما ذكرته سابقاً من شروط المفسر التي يجب توفرها في الباحث في الإعجاز العلمي، أزيد هنا الإشارة إلى مسألة هامة، وهي إشكالية التخصص لدى الباحثين في الإعجاز العلمي. وعقدة هذه الإشكالية مفادها: أننا قد نفهم أن يقدم مختص في الجيولوجيا مثلاً بحثاً في تفسير الآيات التي فيها إشارات لحقائق تتعلق بالجيولوجيا وبيان ما فيها من الإعجاز. ولكن الذي لا يفهم ولا يقبل أن يقدم شخص على البحث والتأليف في الإعجاز العلمي وهو مختص في علوم الشريعة أو علوم العربية، ولا علاقة له من قريب أو بعيد بالطب أو الفلك أو الجيولوجيا إلخ، أو هو مختص في علم واحد من هذه العلوم ثم يكتب في كل وجوه الإعجاز العلمي كأصحاب الموسوعات في الإعجاز العلمي!!!.

نعم قد يقول قائل: لقد رجع إلى مراجع معتمدة في هذه الفنون والعلوم، ونقل منها أصح المعلومات الموثقة؟! وهنا المصيبة!، فما هذه إلا صورة من صور العالم الصحفي الذي حذر منه العلماء!. وكيف لغير المختص أن يرجع لكتب علم ما ويختار منها، وهو غير مؤهل أن يفرق بين الصحيح والخطأ، وبين القطعي والظني، وهو لا يمتلك الأدوات المنهجية الخاصة بذلك العلمي!؟.

ومثال ذلك أنّ نجد الدكتور محمد علي الصلابي -وفقه الله- يكتب في الإعجاز العلمي كتابه: ((المعجزة الخالدة: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم براهين ساطعة وأدلة قاطعة))، وتعرض فيه لعامة صور الإعجاز العلمي؛ لأنه رام أن يكون كتابه مختصرا جامعاً، فتكلم فيه على علم الفلك والحيوان والجيولوجيا والنبات والإنسان... إلخ، والدكتور الفاضل خريج كلية الشريعة، ولا علاقة له بهذه العلوم من قريب أو بعيد، وإذا كان قد ولج الكتابة التاريخية البعيدة عن تخصصه فليس له أن ينتصب للكتابة في الإعجاز العلمي؛ لأنّ الخطأ في الكتابة التاريخية أخف من الخطأ في تفسير القرآن الكريم.

وما قيل عنه يقال عن الدكتور راتب النابلسي -وفقه الله- وقد كتب موسوعة في الإعجاز العلمي بأسلوب سلس جميل، لكن العالم الفاضل مختص في علوم العربية والشريعة، وليس مؤهلاً للكلام في هذه العلوم الكونية المتعددة. ولم يذكر لنا العلماء الذين أعانوه على تأليفها. وقد يقول قائل: إنني أتشدد وأسدّ باب البحث في الإعجاز العلمي أمام الراغبين في ذلك. وليس هذا من التشدد في شيء. بل هذا ما يوجبه التحوط للقرآن الكريم حتى لا تأتي هذه البحوث بعكس المرجو منها، وهذا ما توجبه المنهجية العلمية والأمانة العلمية حتى لا يتكلم من شاء فيما شاء من العلوم. وتلافي هذه السلبية الخطيرة ميسور سهل، وهو ما ذكرته سابقاً وكررت، وأعيد التأكيد عليه هنا: وهو أن تتجز بحوث الإعجاز بشكل جماعي، يشترك في إنجاز البحث مفسرون ومختصون في الدراسات القرآنية وعلماء في العلم الذي تتناوله الآية القرآنية، وأقل ذلك أن يشترك في إنجاز البحث باحثان: مختص في التفسير ومختص في العلم الكوني. فهذا يعطي للبحث قيمة علمية، ويجعله أقرب للصواب.

وقد تتبّه بعض الباحثين لذلك، فنجد الأستاذ يوسف الحاج أحمد حينما كتب موسوعته في الإعجاز العلمي، التي وصفها بأنها أضخم موسوعة إسلامية في الإعجاز العلمي، وتناول فيها كلّ العلوم التي شملها الإعجاز العلمي، وهو غير مختص في أي علم منها، نجده قال في المقدمة: "وللتوثيق شاركني فيها بعض أهل الاختصاص كالدكتور محمد حرب أخصائي في الجراحة والتوليد، والصيّدي جهاد عناية، والصيّدي ماهر كعب"⁽³⁵⁾. وهذا شيء جيد، بيد أنه

غير خاف أنه غير كاف؛ لأن من ذكر من معاونيه هم مختصون في الطب والصيدلة فقط، وموسوعته شملت علوما كثيرة غيرها.

4. د/ إشكالية المرجعية: القرآن أم العلم؟.

حينما تستمع لبعض الدعاة وهم يشيدون ببحوث الإعجاز العلمي، تخشى أن يؤول بنا الأمر لعدم قبول حكم من أحكام الشرع ما لم يشهد له العلم.

إن القرآن العظيم يقرر بوضوح محدودية العلم البشريّ بالغا ما بلغ، قال سبحانه: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 85]، وهذه حقيقة أول من يشهد بها هم العلماء الراسخون أنفسهم. وباستحضار المقصد الأعلى للقرآن الكريم الذي هو الهداية كما سبق، أو كما قال الإمام محمود شلتوت رحمه الله: "القرآن ليس كتابا يريد الله به شرح حقائق الكون، وإنما هو كتاب هداية وإصلاح وتشريع"⁽³⁶⁾. مع استحضار أزمة العلم المعاصر المتعددة الأوجه، إذ "من المسلم به على نطاق واسع في يومنا الحالي أن العلم الحديث والتكنولوجيا قد فشلا في وظيفتهما المأمولة، المتمثلة بالحد من المشاكل الاجتماعية الكبرى، ولا سيما في دول العالم الثالث .. وتوجد أدلة متزايدة تفيد أن منطق العلم الحديث وتطبيقاته يؤديان إلى تكاليف ومخاطر كثيرة تواجه الحضارة والوجود الإنساني بحد ذاته"⁽³⁷⁾. نعم، "يمر العلم الحديث والتكنولوجيا بأزمة حادة تتجلى بأشكال مختلفة، وتبرز أوضح هذه الأشكال في الحواصل النهائية للعلم المعاصر والمنظومات التكنولوجية، كالتقنيات والمنتجات الموجهة نحو الدمار والإتلاف، واغتراب الناس عن بعضهم البعض وعن الطبيعة .. والكوارث البيئية الكبرى التي وقعت في العالم وما زالت تحدث الآن، هي كوارث يقف العلم والتكنولوجيا وراءها بشكل رئيسي"⁽³⁸⁾. باستحضار هذين البعدين ندرك خطورة استدعاء العلم وعدّه حجة مطلقة لتقوية موقف الوحي، وأنّ هذا المنحى فيه من المغامرة الشيء الكثير. وبحوث الإعجاز العلمي إذا لم تستحضر هذين البعدين قد تولّد خطابا دينيا يجعل المرجعية العليا للعلم من غير وعي ولا قصد. على علّات العلم وأزمته التي تزداد تعقيدا.

قال الأستاذ سيد قطب رحمه الله مُنبها على مسألة المرجعية العليا للقرآن الكريم في مقابل العلم: "وإنّي لأعجب لسذاجة المتحمسين لهذا القرآن، الذين يحاولون أن يضيفوا إليه ما ليس منه، وأن يحملوا عليه ما لم يقصد إليه وأن يستخرجوا منه جزئيات في علوم الطب والكيمياء والفلك وما إليها. كأنما ليعظموه بهذا ويكبروه! إنّ القرآن كتاب كامل في موضوعه، وموضوعه أضخم من تلك العلوم كلها..

إنّ الحقائق القرآنية حقائق نهائية قاطعة مطلقة. أمّا ما يصل إليه البحث الإنساني -أيّا كانت الأدوات المتاحة له- فهي حقائق غير نهائية ولا قاطعة؛ وهي مقيدة بحدود تجاربه وظروف هذه التجارب وأدواتها. فمن الخطأ المنهجي -بحكم المنهج العلمي الإنساني ذاته- أن نعلّق الحقائق النهائية القرآنية بحقائق غير نهائية. وهي كلّ ما يصل إليه العلم البشري! هذا بالقياس إلى «الحقائق العلمية»، والأمر أوضح بالقياس إلى النظريات والفروض التي تسمى «علمية».. وكلّ محاولة لتعليق الإشارات القرآنية العامة بما يصل إليه العلم من نظريات متجددة متغيرة -أو حتى بحقائق علمية ليست مطلقة كما أسلفنا- تحتوي أولاً على خطأ منهجي أساسي. كما أنّها تتطوي على معان ثلاثة كلّها لا يليق بجلال القرآن الكريم.

الأولى: هي الهزيمة الداخلية التي تخيل لبعض الناس أنّ العلم هو المهيمن والقرآن تابع. ومن هنا يحاولون تثبيت القرآن بالعلم. أو الاستدلال له من العلم. على حين أن القرآن كتاب كامل في موضوعه، ونهائي في حقائقه. والعلم ما يزال في موضوعه ينقض اليوم ما أثبتته بالأمس، وكلّ ما يصل إليه غير نهائي ولا مطلق؛ لأنّه مقيد بوسط الإنسان وعقله وأدواته، وكلّها ليس من طبيعتها أن تعطي حقيقة واحدة نهائية مطلقة.

والثانية: سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته. وهي أنّه حقيقة نهائية مطلقة تعالج بناء الإنسان بناء يتفق -بقدر ما تسمح طبيعة الإنسان النسبية- مع طبيعة هذا الوجود وناموسه الإلهي، حتى لا يصطدم الإنسان بالكون من حوله؛ بل يصادقه ويعرف بعض أسرارهِ، ويستخدم بعض نواميسه في خلافته. نواميسه التي تكشف له بالنظر والبحث والتجريب والتطبيق، وفق ما يهديه إليه عقله الموهوب له ليعمل لا ليتسلم المعلومات المادية جاهزة!.

والثالثة: هي التأويل المستمر -مع التّمحلّ والتّكلف- لنصوص القرآن كي نحلّها ونلث بها وراء الفروض والنظريات التي لا تثبت ولا تستقر. وكل يوم يجد فيها جديد. وكلّ أولئك لا يتفق وجلال القرآن، كما أنّه يحتوي على خطأ منهجي كما أسلفنا⁽³⁹⁾.

والواجب هو الوضوح المنهجي لدى عامة المسلمين، وخاصة المتقنين منهم، القاضي بأنّ القرآن العظيم بعد ثبوت إعجازه منذ قرون عدة هو الدليل المطلق الوحيد لقضايا الغيب والعقائد -ويلحق به صحيح السنة طبعاً-، أمّا العلم فقد حتّا الشرع على طلبه وتطويره وبذل الجهد لنيله، وله مجالاته التي يعالجها ويحلّ مشاكلها، وإذا استعمل لنصرة العقائد الدينية والمبادئ الشرعية فإنّه يستعمل استعمال الوسائل المشوبة بالقصور البشري، لا استعمال المقاصد التي تشرّب إليها النفوس ثم تخضع؛ فذلك لا يكون إلّا لكتاب الله الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 42].

5. خاتمة:

بعد هذا التّطواف حول بعض قضايا ومسائل الإعجاز العلمي، أصل إلى الختام، والذي لا أريده تكراراً مختصراً لما سبق بسطه وذكره، ولكن أريد التأكيد فيه على قضية جوهرية، والنّتيجة الأساسية لهذه الورقة البحثية، والتي مفادها أنّ لا مناص من انضباط بحوث الإعجاز بالضوابط والشروط التي وضعها العلماء لها، وخاصة ما تعلق منها بالباحثين؛ لكون العامل البشري هو الحاسم في كلّ الميادين، ولكون هذه الحيثية لم تحظ بالاهتمام الكافي على خطورتها؛ لكيلا تنحدر جهود البحث في الإعجاز العلمي للقرآن إلى التّسيّب والانفلات، وحتى لا تناقض مقاصد القرآن العظيم، ولا تعود على الفوائد المرجوة منها بالإبطال.

وأؤكد بعدُ مُوصيًا: أنّ السبيل الأمثل لتلافي أغلب السلبيات التي قد تشوب بحوث الإعجاز العلمي وتذبذب مسارها، هو الاقتصار على البحوث الجماعية التي تشترك فيها الخبرة الشرعية التفسيرية والخبرة العلمية المتخصصة. والمنتظر من الهيئات الرسمية القائمة على هذا الشأن تقنين هذه التوصية والإلزام بها.

فإن كان الذي قدّمت صوابا فالحمد والتوفيق من الله وحده، وإن زلّ الفكر أو ضلّ فمن نفسي ومن الشيطان واستغفر الله وأتوب إليه. والحمد لله أولا وآخرا.

- الهوامش:

- 1 - ينظر: القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص 265 وما بعدها.
- 2 - وصفي أبو زيد، التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم في ظلال القرآن أتموجا، ص 17
- 3 - الريسوني، مقاصد المقاصد، ص 51 - 52
- 4 - أقول تصريحاً؛ لأنّ هذه المقاصد متضمنة في كلامهم تلميحاً وإشارة، وخاصة عند المفسرين الذين عنوا ببيان مراد الله تعالى من كلامه بحسب طوقهم وقدرتهم، بل إنّ عمل المتأخرين ما هو إلّا صياغة للمعاني التي استشفوها من كلام من سبقهم، وهذا لا ينفي وجود بعض الاجتهادات المبكرة، مثل ما قدمه حجة الإسلام الغزالي رحمه الله في كتابه: جواهر القرآن، ص 23
- 5 - العز ابن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ص 12
- 6 - ابن جزّي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1 ص 14
- 7 - محمد عبده، تفسير المنار، ج 11 ص 170
- 8 - المرجع نفسه، ج 11 من ص 170 إلى ص 240
- 9 - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1 ص 40 - 41
- 10 - المرجع نفسه، ج 1 ص 133
- 11 - القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن العظيم، ص 73
- 12 - الريسوني، مقاصد المقاصد، ص 25 - 29.

13 - من جميل الكلام ودقيقه في حصر مقاصد القرآن قول العلامة مصطفى البياحي: مقاصد القرآن تتلخص في: التَّعَبُّد، التَّحَدِّي، التَّهْدِي. دروس صوتية في شرح نكت الانتصار لنقل القرآن، المحاضرة التاسعة، منشورة على هذا الرابط:

<http://bahiaoui.net/?p=12476>

14 - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1 ص 41 - 42

15 - القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ج 1 ص 258 - 272

16 - الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني = تفسير الآلوسي، ج 1 ص 32

17 - في هذا يقول العلامة الزرقاني رحمه الله: "الأسلوب الذي اختاره القرآن في التعبير عن آيات الله الكونية أسلوب بارع جمع بين البيان والإجمال في سمط واحد بحيث يمر النظم القرآني الكريم على سامعيه في كل جيل وقبيل فإذا هو واضح فيما سبق له من دلالة الإنسان وهدايته إلى الله ثم إذا هو مجمل التفاصيل يختلف الخلق في معرفة تفاريعه ودقائقه باختلاف ما لديهم من مواهب ومسائل وعلوم وفنون". **مناهل العرفان**، ج 2 ص 355 - 356

18 - الغزالي، إحياء علوم الدين، ج 2 ص 289

19 - الغزالي، جواهر القرآن، ص 46

20 - ابن العربي، قانون التأويل، ص 504

21 - الشاطبي، الموافقات، ج 2 ص 127 - 130

22 - المرجع نفسه، ج 2 ص 128 هامش 2

23 - الذهبي، التفسير والمفسرون، ج 2 ص 380 وما بعدها

24 - ينظر: شلتوت، تفسير القرآن الكريم، ص 13 - 14

25 - ينظر: القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن، ص 382 وما بعدها - فضل عباس، إتقان البرهان في علوم القرآن، ج 1 ص 125 - 126

26 - ابن حزم، كتاب الأخلاق والسير، ص 23

27 - أبو عبيد القاسم بن سلام، فضائل القرآن، ص 375

28 - المصلح والصاوي، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: منهج التدريس الجامعي، ص 32

29 - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج 4 ص 213 - 215

30 - الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، ج 1 ص 2

31 - المرجع نفسه، ج 4 ص 143.

- 32 - السكاكي يوسف بن أبي بكر، **مفتاح العلوم**، ص 162
- 33 - ينظر في التحقق من هذا فيديو بعنوان: علي كيالي لا يستطيع قراءة القرآن - أخطاء مخجلة. على الرابط الآتي:
https://www.youtube.com/watch?v=jNZ60W3q_nk
- 34 - مثل تفرقة المضحك بين الزمان وهو عنده المرتبط بحركة المكان. والزمن وهو عنده الإحساس الشخصي لكل فرد بمرور الوقت. لكن الإمام ابن فارس القزويني رحمه الله يقول: "الزاء والميم والنون أصل واحد يدل على وقت من الوقت. من ذلك الزمان، وهو الحين، قليله وكثيره. يقال: زمان وزمن". **معجم مقاييس اللغة**، ج 3 ص 22. ومثل تفرقة بين الساذج بين الصوم والصيام. لكن قال الإمام ابن منظور رحمه الله يقول: "الصَوْمُ: تَرَكُ الطعامِ والشَّرَابِ والنَّكاحِ والكلامِ، صَامَ يَصُومُ صَوْماً وصِياماً واصْطَماً". **لسان العرب**، ج 12 ص 350
- 35 - يوسف الحاج أحمد، **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة**، ص 5
- 36 - شلتوت، **تفسير القرآن الكريم**، ص 14
- 37 - فريق شبكة العالم الثالث، **أزمة العلم المعاصر**، ص 9
- 38 - **المرجع نفسه**، ص 13
- 39 - سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج 1 ص 181 - 182

- المراجع:

- الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني = تفسير الألوسي**، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1 / 1415هـ.
- ابن حزم، **كتاب الأخلاق والسير**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط 2 / 1399هـ، 1979م.
- الذهبي محمد حسين، **التفسير والمفسرون**، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، دون بيانات.
- الريسوني، **مقاصد المقاصد**، الشبكة العربية للأبحاث، بيروت، لبنان، ط 2 / 2014م.
- الزرقاني محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، مصر، ط 3 / دون تاريخ.
- الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 3 / 1407هـ.
- السكاكي يوسف بن أبي بكر، **مفتاح العلوم**، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2 / 1407هـ، 1987م.
- سيد قطب، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 32 / 1423هـ، 2003م.

- السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط/ 1394هـ، 1974م.
- الشاطبي، **الموافقات**، تح: مشهور آل سلمان، دار ابن عفان، الخبر، السعودية، ط 1 / 1417هـ، 1997م.
- شلتوت محمود، **تفسير القرآن الكريم**، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 12 / 1424هـ، 2004م.
- أبو عبيد القاسم بن سلام، **فضائل القرآن**، تح: مجموعة أساتذة، دار ابن كثير، دمشق / بيروت، ط 1 / 1415 هـ، 1995 م
- ابن العربي، **قانون التأويل**، تح: محمد السليمان، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ط 1 / 1406هـ، 1986م.
- العز ابن عبد السلام، **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**، تح: نزيه حماد وصاحبه، دار القلم، دمشق، سوريا، ط 1 / 1421هـ، 2000م.
- الغزالي أبو حامد، **جواهر القرآن**، تح: محمد رشيد رضا القباي، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ط 2 / 1406 هـ، 1986 م
- ابن فارس القزويني، **معجم مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، ط / 1399هـ، 1979م.
- فريق شبكة العالم الثالث، **أزمة العلم المعاصر**، ترجمة: هبة ناصر، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، النجف، ط 1 / 1439هـ، 2018م.
- فضل عباس، **إتقان البرهان في علوم القرآن**، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط 1 / 1997م.
- القاضي عياض، **الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ومعه حاشية مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء للشمسي**، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط / 1409 هـ، 1988 م.
- القرضاوي، **كيف نتعامل مع القرآن العظيم**، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 3 / 1421هـ، 2000م.
- المصلح والصاوي، **الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: منهج التدريس الجامعي**، دار جباد، السعودية، ط 1 / 1429هـ، 2008م.
- ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 3 / 1414هـ.
- وصفي أبو زيد، **التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم في ظلال القرآن أنموذجا**، ورقة بحثية مقدمة إلى جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، في مؤتمرها الدولي بعنوان: «فهم القرآن: بين النص والواقع» الذي تنظمه كلية أصول الدين، في الفترة: 4 - 5 ديسمبر 3102 م.
- يوسف الحاج أحمد، **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة**، مكتبة دار ابن حجر، دمشق، سوريا، ط 2 / 1424هـ، 2003م.